

سلسلة التفسير

سورة القيامة (4)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك وبعد:

فنحن في تفسير سورة القيامة.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ * وَلَا أُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ
الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبِّأُ
الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرَهُ ﴿﴾ ، [القيامة: 1-13].

كما استمعتم أيها الإخوة وكما هو عنوان هذه السورة، السورة تتحدث عن يوم القيامة وعن موقف الإنسان الذي لم يؤدبه الشرع.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذه ال (لا) تسمى في اللغة صلة، وهي تفيد التأكيد أي أقسم قسماً مؤكداً بيوم القيامة، وأقسم قسماً مؤكداً بالنفس اللوامة، وقد سبق في الدرسين الماضيين شرحنا عن النفس اللوامة وكيف يصير أحدنا صاحب نفس لوامة.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ هل يعتقد المرء الذي لم تؤدبه الشرائع السماوية، ولم يؤدبه القرآن، ولم تؤدبه سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن الله ليس قادراً على أن يجمع عظامه؟ مرة أخرى بعد أن تفنى في هذه الأرض إن الذي خلقك أول مرة قادر على أن يعيدك ثانية،

الذي صنع أول سيارة ييجو سهلٌ عليه أن يصنع سيارة أخرى، وسهل أكثر لو أن هذه السيارة تعطلت أو أن أجزاءها انفصلت أن يجمعها مرة أخرى، الاختراع الأول أصعب من التجميع ثانية. رب العالمين لم يصنعك صناعة وإنما خلقك خلقاً من لا شيء، الصناعة تجميع قطع موجودة في الأصل بطريقة معينة، وبهيئة معينة، فيخرج منتج جديد، أما رب العالمين خلقك من لا شيء، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ نعم جاء علينا وقت لم نكن فيه شيئاً مذكوراً، الذي خلقك أولاً يستطيع أن يجمعك ثانياً.

لو أن الله عز وجل جمعك فما فائدة هذا البعث؟ هو يوم للبعث، ويوم للنشور، ويوم للمحاكمة، هو يوم الدين ومعنى الدين يعني يوم المحاسبة وجزاء الحسن وجزاء السيئ.

﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ صغار العظام في جسمه سنعيدها كما كانت. ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ لكن الإنسان غير المؤمن والذي لم تُربه شعائر السماء، ولا يزال يرتكب المعاصي، ويصر على الفجور مع كل ما يبين له أمام عينيه وأمام ناظره من آيات كونية وآيات قرآنية.

الله عز وجل يريه بعينه آيات تحدث أمامه لأناس خيرين كيف كانت نهايتهم، ولأناس شريرين كيف كانت عاقبتهم، ويرسل له من يتلو عليه الآيات القرآنية لكن الإنسان الذي لم يؤدبه الشرع يبقى على فجوره ويبقى على ضلاله.

ومع هذا ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تبقون تسألون متى سيكون هذا الشيء وتعلمون أن في حديث جبريل الطويل عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: ((الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَلِقَائِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: ((الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: ((الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: ((مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأَحْدِثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحَقَّاءُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: ((رُدُّوا عَلَيَّ))، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا فَقَالَ: ((هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ)).

[البخاري ومسلم].

والإنسان هو الإنسان ما دامت لم تؤدبه شرائع السماء، ولم يؤدبه القرآن، ولم يؤدبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ والله قال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ غداً سيأتي يوم تشخص فيه الأبصار ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ ، [إبراهيم: 43] أحياناً الإنسان إذا رأى شيئاً فيه إثارة، شيئاً فيه قوة الخبر تكاد عيناه لا تنطبقان ولا ترف جفونه عن هذا المنظر ييهت بهذا المنظر، يأخذه هذا المنظر فهذا الذي سيحدث يوم القيامة ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ يعني غاب ضوء القمر، الآن في الدنيا يغيب ضوء القمر ويعود لكن غداً في يوم القيامة سيغيب يوم القمر ولا يعود، سينطمس.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ يعني جمعاً في غياب ضوءهما هذا الضوء الشديد للشمس سيختفي.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنِّ الْمَفْرُ﴾ الإنسان الذي سيقول هذا الكلام هو نفسه الإنسان الذي يتساءل ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنَّنَا نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾ هو نفسه الذي يريد أن ﴿لِيُفْجَرَ أَمَامَهُ﴾ هو نفسه يوم القيامة عندما يشاهد الحقيقة قد وقعت يقول: ﴿أَأِنِّ الْمَفْرُ﴾ .

لكن الحقيقة أيها الإخوة والأخوات أن هناك زمرة ثانية من الناس سيقولون غير هذا القول وقالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ ، [الزمر: 74] المؤمنون الذين آمنوا في الدنيا بأن هناك بعث، وهناك جزاء، وهناك يوم الدين، سيقولون: الحمد لله، لكن الفجرة الكفرة المعتدين الظالمين الأشرار الكافرين سيقولون: ﴿أَأِنِّ الْمَفْرُ﴾ أما المؤمن بالعكس يفرح.

أي في يوم صدور النتائج المجتهد يقول الحمد لله، لكن الذي أضاع العام كله لا يريد أن يرجع إلى البيت أبداً، ولا يريد أن يرى أحداً، ويقفل هاتفه المحمول لكن الصالح الذي قدّم يتمنى اللحظة التي يعود بها إلى من حوله ويخبرهم بما معه من الكتاب.

حدثنا الله عز وجل في القرآن الكريم عن حال الذين فجروا في هذه الدنيا كيف سيكونون يوم القيامة وحدثنا عن حال الصالحين كيف سيكونون يوم القيامة، قال الله عز وجل في حال الفاجرين هذا الإنسان الذي لم يؤمن ولم تؤدبه شرائع السماء: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾، [القمر: 8]، وفي آية أخرى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، [الفجر: 24]، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، [الحديد: 13]، ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، [الصفات: 20] كلها هذه أحوال للفجرة الذين لم يكونا ينضبطون بشرع الله تعالى.

الآن بالعكس الصالحون ماذا سيقولون يوم القيامة؟ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، [فاطر: 34] والله هذه الدنيا كانت فيها هموم، كانت فيها مصائب، ومصاعب، وشدائد، وشهوات، وشبهات، وكنا نتلقى من الحزن ما نتلقى لقاء انضباطنا بأمر الله تعالى فيوم القيامة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ طبعاً بالضبط كحالة طالب يجتهد طيلة العام ويتعب طيلة العام ويمتنع عن شهواته طيلة العام من ولائم لا يذهب إليها، وسهرات لا يحضرها، ورحل لا يشارك فيها، وجلسات يتمنى أن يكون فيها لما يكون بها من السرور والبسط ويبقى مجتهداً ومهموماً بدراسته يريد أن ينجح فإذا ظهرت النتائج كانت الفرحة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، [فاطر: 34] نُشكر على أفعالنا الصالحات، ويسامحنا عن أخطائنا التي أخطأناها ما دمنا في اعتقادنا نغضي إليه.

هذه طائفة من الجماعات الذين انضبطوا بالشرع وهناك طائفة ثانية: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، [الزمر: 74] هناك عمل بذلناه في الدنيا واليوم هو القبض وهناك زمرة ثالثة ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِرَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾، [الأعراف: 43] لأن الآن أهل الضلال يقولون أنتم ابقوا للآخرة أنتم مؤمنين تركعون وتسجدون وتفرحوا بالشرع وبالآخرة تقبضوا فيقوم المؤمنون فيقولون ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِرَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ أَوْرِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، [الأعراف: 43].

فالآن يا أيها الإخوة هذا حال الناس يوم القيامة هم زمردتان.

يا شباب يا رجال يا أيها الأخوات يا أيتها السيدات نحن على هذه الأرض غير ما كثرين والحق أننا أناس مخلوقون للجنة، نعم.. نحن مطلوب منا أن نَعمر الدنيا لكن عمارة هذه الدنيا ليست هدفاً، عمارة هذه الدنيا وسيلة لأجل أن تمضي إلى الجنة.

لماذا يسعى المسلمون أيها الإخوة ليكون الحكم في الأرض لله؟ ما الهدف؟

أليكونوا هم أصحاب الأمر والنهي؟ أليكونوا هم أصحاب الكراسي؟ لا.. فقط لأجل أن يشيع الخير بين الناس، لأنه لا يوجد قانون يحكم بالخير على هذه الأرض إلا قانون رب العالمين وما لم يحكم بقانون رب العالمين سيبقى هناك على هذه الأرض متمردون وجبابرة وطغاة وظلمة وفجار يؤذون الآخرين.

الإنسان بدون شريعة رب العالمين كأنه حيوان مفترس لعله يتزين بزى النعامة، أو بزى الحمل الوديع من أجل أن يصل إلى مبتغاه فإذا وصل انقضى على من أوصله إلى هذه البغية. حدث أن قتيبة بن مسلم وهو أمير من أمراء جنود الإسلام فتح مدينة سمرقند (إيران وما وراءها) فلما فتحها، فتحها صلحاً على أن يدخل الدعاة الإسلاميون فمن أراد الإسلام فليسلم ومن لم يرد يبق على دينه على أن يؤدوا الضرائب والخراج للحكومة الإسلامية لقاء أن تحميهم. أتى بعد قتيبة بن مسلم أمير مسلم آخر، فلما جاء الأمير الآخر -وأهل سمرقند غير مسلمين ولكنهم في صلح معهم- ففي غفلة من أهلها نبذ هذا القائد الجديد إليهم عهدهم بغير إخبارهم وانقض على مفاصل الحركة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المدينة، وأعلن بأن الحكومة الإسلامية هي الحاكمة ولا يوجد حكومة غير الإسلامية.

اجتمع أهل سمرقند وهم مستضعفون واتفقوا على أن يذهب الرهبان إلى أمير المؤمنين الموجود في الشام وهو عمر بن عبد العزيز فهو رجل معروف بعدله وأمانته فلما أتوه وأخبروه أرسل عمر رسالة للقاضي الموجود مع جند المسلمين في سمرقند بالقضية فقام القاضي بالتحقيقات وتبين له صدقهم وأن الجيش الإسلامي هو الظالم فأرسل رسالة لعمر بن عبد العزيز بحقيقة الأمر وصدق الرهبان فأرسل عمر بن عبد العزيز رسالة إلى الجيش الإسلامي أن يخرج من سمرقند وأن يرُد للناس أمتعتهم وحاجياتهم ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه من الصلح في زمن قتيبة.

بدأ الجيش الإسلامي بحزم أمتعتهم فسألهم الناس؟ فأخبروهم بالحكم فذهل أهل سمرقند بالموقف فإذا بأهل سمرقند يشكلون وفداً إلى أمير المؤمنين يطلبون منه أن يبقي الجيش والحكم الإسلامي في سمرقند، وكان من أثر هذه الحادثة دخول عدد من غير المسلمين إلى الإسلام.

يأتيني أحياناً إخوة وأخوات، شركاء، أزواج، أصدقاء، بائع ومشتري، يأتي واحد منهم أو مجموعهم يقول: يا أستاذ نحن لا نعرف حكم الله في هذه المسألة نحن نريد ما يرضي الله عز وجل ومهما أخبرتنا بما يرضي الله عز وجل فنحن موافقون.

ربما هذا الكلام بالتدريس سهل لكن عندما يكون بيننا وبين شخص آخر خصومة وبيننا مليون ليرة ثم يقال لك: حسب المعطيات والشرع أنت عليك دفع المليون فليس من السهل أن نخرج مليون ونقول له: تفضل.

مرة كنا في خصومة أخوين شركاء في مسألة فطلبوا أن أكون حكماً فطلبت أن يكون معي في التحكيم اختصاصي تجاري بنفس الاختصاص الذي يعملون به فوصلنا بالنتيجة أن فلاناً يجب أن يدفع لفلان مبلغ من المال، ونحن في نفس الجلسة قام الرجل وخرج وغاب حوالي عشر دقائق ثم دخل وفي يده المبلغ المالي فتأثرنا كلنا بهذا الموقف.

عندما يحكم شرع الله نرتاح كلنا ولو نزل هذان الأخوان إلى المحكمة لما انتهوا من ثمان سنين إلى الآن.

يستحيل أن تترك شيئاً لله والله لا يعوضك، نفس الشخص بعد عدة شهور اتصل بي فقال لي: كان لي عقار منذ ثلاث سنين جامد لا يُباع فأتاني بسعر يزيد عن الذي أطلبه فيه بمليون ليرة. يستحيل أن تترك شيئاً لله والله لا يعوضه لك في دينك ودنياك، وهذا كثير والحمد لله.

عندما يحكم الشرع فالناس ترتاح لكن عندما لا يكون هناك شرع فالقوي يأكل الضعيف ومن بيده قوة هو الذي يستخدم قوته كما يحدث في حديقة الحيوان.

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَئِنِّ الْمَفْرُوءُ﴾ هذا الإنسان الذي لم يؤمن بأن هناك آخرة ولم يرض أن يحكم شرع الله عز وجل يقول: ﴿أُئِنِّ الْمَفْرُوءُ﴾.

فيا أيها الإخوة والأخوات تعالوا نجتهد هل يوجد شيء عندي أخالف به أمر الله؟ هل يوجد شيء أمرني الله تعالى به وأنا لا ألتزم به؟

بعض الإخوة يقولون فيما حرم الله عن جهل فهو لا يعلم أن هذا الأمر لا يجوز في تركه وبعد فترة يسمع أن هذا الأمر لا يجوز فينسحب منه لكن بعد فترة طويلة من قيامه به وهو لا يعلم بحرمة.

مثلاً: شاب أراد خطبة فتاة فهل يجوز له أن يجلس مع خطيبته لوحدهما قبل عقد القران؟
هل يجوز أن يرسل لها رسائل إعجاب وحب وغرام في عيد ميلادها؟
هل يجوز أن ترسل له صورتها ومعها بعض عبارات الإعجاب والإطراء والسرور وما
شابه؟

هل يجوز أن يدخل على صفحتها في الفيس بوك ويطلب منها وتطلب منه؟
كل هذا لا يجوز، لكن الآن بعض الشباب لا تعرف.
في الشرع الخطبة هي وعد بالزواج فالخطبة ليست زواجاً لذلك الخاطب مع مخطوبته قبل
العقد غريب فهي خطبة تستطيع أن تلغيها متى شئت ولكن عدد من العائلات لا يفعلون هكذا،
ولكن بعد أن يعقد القران أصبح زوجها.

إذن هناك بعض الناس يقعون فيما حرم الله وهم لا يعلمون.
بالمعاملات المالية أراد أن يصرف ألف دولار فهل يجوز له أن يتصل فيسأل عن سعره
فيقول له: أرسل لي ألف دولار والآن سأعطيك قسم وبعد فترة أعطيك الباقي، فهل يجوز ذلك؟
هل يجوز أن نثبت السعر الآن ونهاية الشهر أحاسبك؟ لا يجوز لأن الصرف يحتاج إلى تقابض
فيقول: أنا هكذا أفعل ولا أعرف.

لذلك نحن كلنا مطلوب منا أن نراجع هل هناك أمر أخالف فيه الشرع وأنا لا أعلم.
طلب إلي بعض الإخوة أن نجعل سلسلة عن الحلال والحرام فتتکلم مثلاً عن المحرمات في
العلاقات الاجتماعية، والمحرمات في المعاملات، والمحرمات في العلاقات الزوجية، والمحرمات في
الألعاب...

في الألعاب: هل يجوز أن نسجل بنادي سباحة؟ نعم.. يجوز، لكن لا يجوز أن نكشف
العورات.

في الوصية: هل يجوز لي أن أقول قبل موتي العقارات لأولادي الصبيان والذهب لبناتي؟ لا
يجوز هذا أمر قد قسمه الله تعالى **((لا وصية لوارث))**، [ابن ماجه].
هل يجوز لي لأنني متضايق من كل أولادي أن أجعل كل أملاكي للجمعية الخيرية الفلانية؟
هذا لا يجوز.

من انضبط بأمر الله عز وجل لا يقول يوم القيامة ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ بل يقول الحمد لله أنني
كنت في الدنيا مقيّد بشرع الله.

ربما لأحد أن يقول: أنا هكذا أكون مقيداً، صحيح.. نحن مقيدون، فنحن عباد لله عز وجل، والعبد مقيد فأنت لست حراً، المؤمن مقيد بأمر الله عز وجل فإذا تقيدت بأمر الله صرت حراً غنياً عن كل العباد لكن أنت منضبط بأمر الله عز وجل.

الحسن البصري يقول: (المسلم إنسان قيده القرآن).

لكن هذا القيد لأجل سعادتنا جميعاً ولأجل سعادة المجتمع فإذا كان الإنسان غير مقيد، يريد أن يتكلم ما يريد، ويأكل ما يريد، ويشرب ما يريد، ويذهب حيث أراد، وينظر حيث شاء فيوم القيامة يقول ﴿أَيْنَ الْمَفْرُوءُ﴾.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ لا يوجد حماية، ولا وقاية، ولا مانع يمنعك عن أن تلاقي جزاء عملك.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يُؤْمِدُ الْمُسْتَقِرُّ﴾ طبعاً ستعود إلى ربك الذي خلقك من أجل أن تحاسب.

الآن أهل الخير يفرحون، لقاء الله عز وجل لا يوجد أجمل منه.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ)) قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ))، [البخاري].

بالله عليكم ماذا تفعلون هنا؟ والله هذه الدنيا راحتها ممزوجة بتعب، غناها ممزوج بكدر، فرحتها ممزوجة بمرض، سرورها ممزوج بألم.

تكون تضحك يأتيك هاتف يصبح وجهك أصفر، تكون في نزهة يصبح مع ابنك أمر صغير فتتذكر كل الرحلة، تكون مع زوجتك مسروراً تسمع صوتاً يزعجك ويكربك هذه هي الدنيا فلا تتمسك كثيراً بهذه الدنيا، عمار الدنيا وسيلة وليس هدفاً فالهدف في الآخرة.

أحد شيوخنا عليه رحمة الله رأى جدته في المنام بعد موتها، وجدته إنسانة صالحة فرآها مدة في قبرها لكنه رآها كأنها في غرفة طويلة طولها عشرين متر وعرضها عشر أمتار فسألها: يا جديتي ألم تموتي؟ قالت: بلى، قال: أين أنت الآن؟ قالت: في القبر، فنظر فإذا كل شيء من تراب، فقال لها: ما تفعلون؟ قالت: نحن ننتظر يوم القيامة، قال: ألا يصيبك الملل؟ فقالت: تعال معي، فأخذته لآخر

القبر فإذا بكرسي كأنه كرسي الملوك مُرَصَّعٌ بجواهر، قالت: له اصعد فلما صعد إلى الكرسي وجد في أعلى القبر نافذة ففتحها فإذا بها مظلة على الجنة قال: فلما نظرت رأيت شيئاً من أجمل ما خلق الله لا يخطر على بالك من أنهار، وعصافير، ومخلوقات، شيء يشغلك ويسلب لُبَّك فقالت له: نحن هنا كل يوم يدلون لنا المنظر فلا نمل فَسَّرَ كثيراً، فقال لها: دعيني أبق عندك، فقالت: أنت لم يحن وقتك. لقاء الله أحلى بكثير من أطيب طعام تأكله، وأطيب من أي شراب تشربه، وأجمل ما في الأمر أن ترى رب العالمين، وأن تسمع ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، [يس: 58]، لا تتمسك كثيراً بالدنيا ولا تخاف من الانتقال للدار الآخرة.

مَلِكٌ من ملوك الروم هدَّد أحد الصحابة بالموت فقال له: أبا الموت تهددني؟! والله لقد جئتكَ برجال يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة. لماذا أنتم يا شباب تغضون أبصاركم؟ لماذا تمتنعون أن تشربوا شيئاً مما حرم الله؟ لماذا تمتنعون عن شهوات كثيرة تعرض عليكم؟ كرامة لرب العالمين، فإذا أنتم متم انتقلتم إلى لقاء رب العالمين لتأخذوا أجوركم.

أحياناً أحدنا لا يطيق أن يضع على بدنه قميصاً فكيف انضبطت هذه المرأة بالحجاب الشرعي؟! تفعل ذلك إكراماً لرب العالمين ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

يا هنيئاً من يستقر عند ربه إذا كان من الذين انضبطوا بأمره ونهيهِ، لكن إذا كان متفلتاً من الأمر والنهي وقلنا له ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

قال الوليد بن عبد الملك: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكغائب عاد إلى أمه، وأما المسيء فكالعبد الآبق أمسكه سيده.

نسأل الله عز وجل أن يحسن ختامنا، وأن يرزقنا رضاه والجنة، وأن يكرمنا برؤيته يوم القيامة.

اللهم كما جمعتنا ببيتك هذا فاجمعنا على حوض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظماً بعدها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.